الإصحاح الخامس عشر

بركــة عبــادة الله الحــي

" [1] و أنت يا إلهنا ذو صلاح و صدق طويل الأناة و مدبر الجميع بالرحمة . [2] فإذا خطئنا فنحن في يدك و قد علمنا قدرتك لكنا لا نختار الخطأ لعلمنا بأنَّا من خاصتك. [3] فان معرفتك هي البر الكامل و العلم بقدرتك هو اصل الحياة الدائمة. [4] لذلك لم يغونا ما اخترعته صناعة الناس الممقوتة و لا عمل المصورين العقيم من الصور الملطخة بالألوان . [5] التي في النظر إليها فضيحة للسفهاء بعشقهم صورة تمثال ميت لا روح فيه. [6] لا جرم أنَّ الذين يصنعونها و الذين يعشقونها و الذين يعبدونها هم كلفون بالمنكرات و هم أهل لأنَّ تكون آمالهم في أمثال هذه. " (حك 15 : 1-6)

عبادة الله الحي تعطي البر والبركة والرحمة والحياة الآبدية، لذلك لم يغونا الأوثان بجمالها ولا بصورها ولا بألوانها لأن فيها الشهوة والموت.

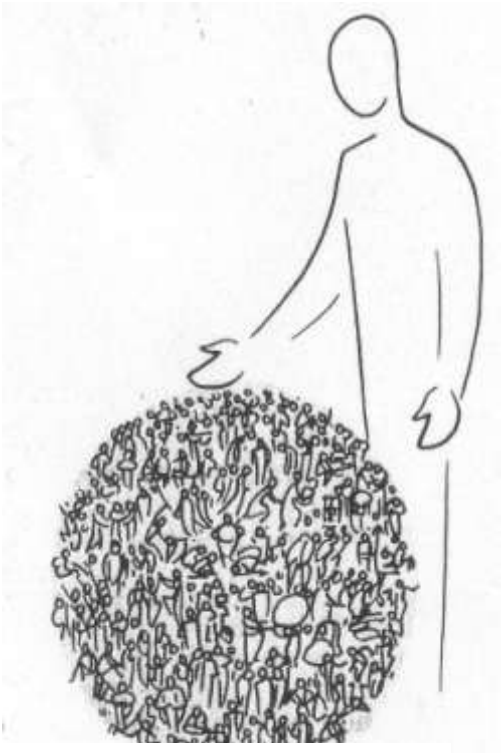

أنت يا إلهنا ... مدبر الجميع بالرحمة (حك 15 : 1)

وهنا في بداية الإصحاح مقارنة بين إله بني إسرائيل والأوثان التي لا حياة فيها . فالله ذو صلاح، صادق، طويل الروح، مدبر الجميع بالرحمة. الله يفرح بالخاطئ عندما يتوب .. قارن **" فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب اله رحيم و رؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. " (خر 34 : 6)**

فإن أخطأنا فنحن أولا دك وسريعاً ما نرجع إليك مرة أخرى بعد أن تعلمنا الدرس مثل الطير الذي يريد أن يطير بمفرده وعندما يحس أنه سوف يقع تأتي أمه وتنقذه . فنحن أحياناً نحب أن نكون أحراراً معتقدين أن الحرية في البعد عنك، لكن للأسف الحرية والسلام هما في القرب منك والالتصاق بك لأنك عرفك الحياة الأبدية التي لا نجدها في أي مكان آخر . إنه لا يغونا صناعة الفنانين الجميلة للتماثيل لأنك أروع جمالاً من أي شئ على الأرض ويقول معلمنا بولس **" فإذ نحن ذرية الله لا ينبغي أنْ نظن أنَّ اللاهوت شبيه بذهب أو فض ـة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان ." (أع 17 : 29)**

وكانت بعض هذه التماثيل تثير الشهوة في الإنسان، خاصة التماثيل الخليعة التي لا روح ولا حياة فيها . ولا شك أن الذين يصنعونها أو يعشقونها أو يعبدونها هم من يحبون الشر فاستحقوا أن تخيب آمالهم .. قارن **"[9] الذين يصورون صنماً كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهو دهم هي. لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى . [10] من صوّر إلهاً وسبك صنماً لغير نفع . [11] ها كل أصحابه يخزون والصناع هم من الناس. يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معا " (أش 44 : 9-11).** لذلك لم يغونا صناعة الناس الممقوتة، لا يبهرنا العالم بالمدنية والتكنولوجيا . لكنها بسماح من الله مثل الاستنساخ استطاعوا أن يعملوا صورة طبق الأصل لكنهم لم يستطيعوا أن يخلقوا خلية حية، لم ولن يستطيعوا لأن خالق الحياة هو الله، والرب يراهم ويضحك، ماذا سيفعل الإنسان بنفسه هل يخلص نفسه ويمجد الله ويعرف أنه يوجد كائن أعظم مدبر الكون؟؟ .. أو يعتقد الإنسان أن العلم سيساعده على أن يتدخل في أعمال هي من اختصاص الله .. لننتظر ونرى ماذا سيحدث في الأيام القريبة . لكن إحساس يقول كونوا مستعدين لأن يوم الرب قريب .. توبوا لأنه قد أقترب ملكوت الله ..

"[7] إنَّ الخزَّاف يعني بعجن الطين اللين و يصنع منه كل أناء مما نستخدمه فيصنع من الطين الواحد الآنية المستخدمة في الأعمال الطاهرة و المستخدمة في عكس ذلك و أَمَّا تخصيص كل أناء بواحدة من الخدمتين فإنَّمَا يرجع إلى حكم صانع الطين. [8] و بعنائه الممقوت يصنع من هذا الطين إلهاً باطلاً و هو إنَّمَا ولد من الطين من حين يسير و عن قليل سيعود إلى ما أُخِذَ منه حين يطالب بدين نفسه. [9] غير أن همه ليس بأنَّه يتعب و لا بأنَّه قريب الأجل لكنه يباري صاغة الذهب و الفضة و يعارض النحاسين و يعتدُّ ما يصنعه من الخسائس فخراً . [10] فقلبه رماد و رجاؤه أخسُّ من التراب و حياته أحقر من الطين. [11] لأَنَّه جهل من جبله و نفخ فيه نفساً عاملة و روحاً محيياً . [12] بل حسب حياتنا عبثاً و عمرنا موسماً للاكتساب و زعم انه لا بد من الربح بكل حيلة و لو بالظلم . [13] فإنه عالم بأنَّه اعظم جرماً من الجميع لأَنَّه يصنع من طين الأرض آنية قصمة و منحوتات ." (حك 15 : 7-13)

بعنائه الممقوت = يكـد بلا جـدوى

قصمة = سريعــة الانكسار

هنا يستعرض الكاتب صانع آخر للأصنام . فبعد أن استعرض النجار هنا يتعرض لصانع الآلهة من الخزف فيقول أن الخزَّاف يبذل مجهود لكي يصنع آنية من الفخار لخدمتنا فممكن من نفس الطين تكون آنية للكرامة وأخرى آنية للهوان . لكن هذا لا يمنع أن حكمة الفخاري عندما يجد الطين لينة وجميلة يصنعها آنية للكرامة، ولكن إذا كانت سيئة ستكون آنية للهوان .. قارن **" [3] فنزلت إلى بيت الفخاري وإذا هو يصنع عملاً على الدولاب . [4] ففسد الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخاري فعاد وعمله وعاء آخر كما حسن في عيني الفخاري أن يصنعه.**

" (أر 18 : 3،4) و " ويل لمن يخاصم جابله . خزف بين أخزاف الأرض . هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع . أو يقول عملك ليس له يدان . " (أش 45 : 9) و "ام ليس للخزَّاف سلطان على الطين أنْ يصنع من كتلة واحدة إناء للك رامة وآخر للهوان." (رو 9 : 21).

ولكن الخزَّاف هنا يصنع الطين إله لا خير فيه وُلِدَ من الطين منذ قليل ويعود بعد قليل إلى الطين الذي أُخِذَ منه .. قارن **" بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخِذْتَ منها. لأنك تراب والى تراب تعود. " (تك 3 : 19) و" فقال له الله يا غبي هذه الليلة تُطْلَبْ نفسك منك . فهذه التي أعددتها لمن تكون." (لو 12 : 20)**، وهذا الخزَّاف لا يفكر في أخرته التي يذكره بها الطين الذي يستعمله، بل يهزأ بنفسه إذ ينافس الفنانين الذين يستخدمون مواهبهم في مادة شريفة مثل الذهب والفضة، ويحاول التغلب عليهم في صناعة آلهة مزيفة . قارن **" لأن إنساناً اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لأرطاميس كان يكسب الصناع مكسبا ليس بقليل." (أع 19 : 24)**

فكان التمثال قلبه رماد ورجاءه أحط من التراب وحياته أحقر من الطين ... قارن **" يرعى رماداً قلب مخدوع قد أضله فلا ينجي نفسه ولا يقول أليس كذب في يميني" (أش 44 : 20).** وإن الصانع له عقاب أشر لأنه يعرف أن معطي الحياة هو الله فقط، وهو يعرف ذلك لأن حياته في يد الله . وأيضاً لأنه يعتقد أن حياته عبارة عن تسلية ومهرجان للربح، ويربح على حساب الآخرين . فهذا الصانع يعرف أنه خاطئ، لأنه يصرنع تماثيل يضل بها الناس عن معرفة الله مثله مثل الذي يضلل الناس بالمخدرات أو يساعدهم على لعب القمار أو شرب السجائر .. الخ.

"[14] إنَّ جميع أعداء شعبك المتسلطين عليهم هم اجهل الناس و أشقى من نفوس الأطفال. [15] لأَنَّهم حسبوا جميع أصنام الأمم آلهة تلك التي لا تبصر بعيونها و لا تنشق الهواء بأنوفها و لا تسمع بآذانها و لا تلمس بأصابع أيديها و أرجلها عاجزة عن الخطو. [16] لأَنَّها إنَّمَا عملها إنسان و الذي أُعِير روحاً صنعها و ليس في طاقة إنسان أنْ يصنع إلهاً مثله . [17] و إنَّمَا هو فان فيصنع بيديه الأثيمتين ما لا حياة فيه فهو افضل من معبوداته إذ هو قد كان حياً و أَمَّا هي فلم تكن حية البتة. [18] و هم يعبدون أعدى الحيوان مما هو اشد البهائم عجمة . [19] و ليس فيه ما في منظر الحيوانات الأُخر من الحسن الشائق إذ فاته مدح الله و بركته.

أعداء شعبك المتسلطين عليهم = يرجع هنا الكاتب إلى المصريين مرة أخرى وديانتهم. فهو يشير إلى المصريين الذين تسلطوا على بني إسرائيل قبل الخروج ثم على عهد البطالسة، فهو يشبههم هنا أن الطفل يفهم أحسن منهم . لأن الطفل معروف بالسذاجة وأنه يصدق كل شئ. فهم كذلك فقد كانوا يعبدون آلهة :

1- لا تبصر. 2- لا تتنفس. 3- لا تسمع. 4- لا تلمس. 5- لا تستطيع المشي. فهي ليس لها أي من الحواس الخمسة، وأيضاً ولا تستطيع أن تنجي نفسها إذا حدث حريق أو كان هناك سارق .. قارن **(باروخ 6)** وأيضاً **"[4] أصنامهم فضة وذهب عمل**

أيدي الناس. [5] لها أفواه ولا تتكلم . لها أعين ولا تبصر . [6] لها آذان ولا تسمع. لها مناخر ولا تشم. [7] لها أيدٍ ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشي ولا تنطق بحناجرها. [8] مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها" (مز 115 : 4-8)

إن الله خلق الإنسان وفيه روح خالدة ومتحرك وعاقل، فكيف ينعم الله عليه بكل هذه النعم ثم يعتقد أنه يستطيع أن يصنع إله ويسجد له أيضاً مثلما فعل بنو إسرائيل في العهد القديم عندما صنعوا عجلاً وسجدوا له .. أنظر " **فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من ارض مصر." (خر 32 : 4)**

ولأن الإنسان أفضل من معبوداته لأنه حي أما آلهته و معبوداته فلم تكن حية أبتدأ يعبد الحيوانات مثل العجل والحية وما إلى ذلك . ومع أن بعض الحيوانات التي كانوا يعبدونها مشهورة بالغباء وعدم الفهم وعلى ما فيها من قبح ولا أحد يفضلها، حتى أن الله نفسه استثناها من مديحه وبركة الرب عندما بارك الحيوان ات في سفر التكوين "[20] **وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء. [21] فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبّابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه . ورأى الله ذلك انه حسن. [22] وباركها الله قائلاً أثمري واكثري واملإي المياه في البحار . وليكثر الطير على الأرض. [23] وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً . [24] وقال الله لتخرج الأرض ذوات انفس حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها . وكان كذلك. [25] فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك انه حسن . [26] وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض . [27] فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. [28] وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض و أخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض . [29] وقال الله أنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً. لكم يكون طعاماً. [30] ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبّابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب اخضر طعاماً. وكان كذلك " (تك 1 : 20-30)**

ولكن عندما أغوت الحية حواء لعن الرب الحية "[14] **فقال الرب الإله للحيّة لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك . [15] واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه." (تك 3 : 14،15)**

فالحيوانات التي هي آلهة المصريين هي التي استحقت اللعنة.

✧✧✧✧✧✧✧